مجلة جامعة النجاح للأبحاث، (العلوم الإنسانية)، المجلد ١٨ (٢)، ٢٠٠٤

دور هاء التأنيث في الجمع "قراءة في لسان العرب"

The Role of Feminine "Ha'a" in Plural "A perusal in Lisan AL- Arab"

حمدي الجبالي

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.

بريد إلكتروني: arabdep@najah.edu

تاريخ التسليم: (٧/٦/٢٠٠٣)، تاريخ القبول: (٢/١٢/٢٠٠٣)

ملخص

لمّا كانَ لهاءِ التأنيثِ حضورٌ واسعٌ في كثيرٍ من مسائلِ اللغةِ وقضاياها، آثرَ هــذا البحــثُ تبيــانَ ذلــكَ الحضورِ في مسألةٍ واحدةٍ، هي الجمعُ. فألفى أنَّ للهاءِ دورًا واضحًا في الجمعِ، وقيمةً معنويّةً فيه، وأنَّ كثيــرًا من الأحكامِ اللغويّةِ المتّصلةِ بالجمعِ ترتبطُ بها، وتُبنى على دخولِها أو عدمِه.

Abstract

In view of the fact that Feminine "Ha'a" has a vast prescence in many language issues, this research was intended to display that prescence in a single issue i.e., plural. It was found that Ha'a has an apparent role and a meaningful value in plural, and many of language concepts which are related to plural are connected with it and may be made uninflected in case of its insertion or not.

مدخل

لا ريب في أنّ معجمَ (لسانِ العربِ) لابنِ منظورٍ من أهمِّ المعاجمِ اللغويّةِ وأكثرِها شيوعًا وانتشارًا. فهو معجمٌ غزيرُ المادّةِ، ضمَّ خمسةَ مصادرَ من أهمِّ المصادرِ اللغويّةِ التي سبقتهُ، وهي: تهذيبُ اللغةِ لأبي منصور الأزهريِّ، والمحكمُ لأبي الحسن ابنِ سيده، والصِّحاحُ لإسماعيلَ بنِ حمّادٍ الجوهريِّ، والتنبيهُ والإيضاحُ عما وقعَ في الصحاحِ لأبي محمدٍ عبدِ اللهِ بنِ بَريّ، والنهايةُ في غريبِ الحديثِ والأثرِ لأبي السّعاداتِ ابنِ الأثيرِ. ولمّا كانَ الأمرُ كذلكَ فقد اجتمعتْ علومُ هذه المصادرِ ومعارفُها فيه بعدَ أنْ كانَتْ متفرّقةً مشتّتةً. ويكفي المرءَ قراءةُ مادّةٍ واحدةٍ فيه للوقوفِ على ذلكَ.

ومن يقرأُ في (لسانِ العربِ)، ويقفُ على موادّه مادَّةً مادّةً، يجدُ أنَّ لهاءِ التأنيثِ حضورًا بيّنًا، وأثرًا واضحًا جليًّا، يكشفُ مجملُه عن دلالاتها ودورِها في التعليلِ والتوجيهِ والتفسيرِ. وهو دورٌ متشعبٌ، زواياهُ متنوّعةٌ، ليس بالمقدورِ أنْ تناقشَ كلُّها في بحثٍ واحدٍ.

لذا، فإنَّ هذا البحثَ يتصدّى لزاويةٍ واحدةٍ من هذه الزوايا؛ يقومُ بكشفِها وعرضِها ودرسِها وحسبُه ذلكَ. وتلكَ الزاويةُ محلّ الدراسةِ دورُ هاء التأنيثِ في الجمعِ "قراءةٌ في لسانِ العربِ".

وإذا كانَ البحثُ يقرأُ هذا الدورَ في (لسانِ العربِ) ويخصُّه بهِ، فإنّه لا يجدُ بأسًا في تعزيزِه وإثرائِه من غيرِه ما احتاجَ إلى ذلكَ.

ومجمل مسائلِ الجمعِ وقضاياهُ التي وقفتُ عليها، والتي للهاءِ دورٌ فيها بِضْعَ عشْرةَ مسألةً. هذا بيانُها(١).

١. هاء النسب

تزادُ الهاءُ في الجمعِ لإرادةِ معنى النسبِ في الواحدِ عوَضًا عن ياءي النسبِ كالهاءِ في المهالبةِ والمسامعةِ(٢)، والتبابعةِ(٣)، والصّيارفةِ(٤)، والصقالبةِ(٥)، والضّجاعمةِ(٦)، كأنّهم أرادُوا الضّجعَميِّينَ، وكذا الباقي.

---

(١) ثمّ صيغ من جموع التكسير تلحقها الهاء، نحو أفعلةٍ كأرغفة، وفِعْلةٍ كصبية، وفَعَلَةٍ كسحرة، وفُعَلةٍ كقضاةٍ، وفِعَلَةٍ كدببةٍ.

(٢) اللسان (بخت) ٩/٢، و(سمع) ١٦٨/٨. ومسمع أبو قبيلة يقال لهم المسامعة. وتأتي الإشارةُ إلى أن بعض هذه الهاءات تحمل تارة على النسب وتارة أخرى على غيره. وينظر: اللسان (سبج) ٢٩٤/٢، و(برر) ٥٦/٤.

(٣) اللسان (تبع) ٣١/٨. والتبابعة ملوك اليمن، واحدهم تُبّع، سمّوا بذلك لأنه يتبع بعضُهم بعضا، كلما هلك واحد قام مَقامه آخر تابعا له على مثل سيرته.

(٤) اللسان (صرف) ١٩٠/٩. والصراف والصيرف والصيرفي: النقّاد من المُصارفة.

(٥) اللسان (حضرم) ١٣٧/١٢. والحضارمة الذين يسكنون حضرموت من أهل اليمن.

(٦) اللسان (ضجعم) ٣٥٣/١٢. والضجاعمة أولاد ضجعمٍ أبي بطن من العرب، وكانوا ملوكا بالشام.

والعلّةُ في إدخالِ الهاءِ على الجمعِ "أنّهم لمّا أرادُوا أنْ يجمعُوا المنسوب جمعَ التكسيرِ وجبَ حذفُ ياءي النسبِ؛ لأنّ ياءَ النسبِ والجمعِ لا يجتمعانِ، فلا يُقالُ في النسبةِ إلى رجالٍ: رجاليٌّ، بل رجُليٌّ ... فحذفَ ياءُ النسبةِ ثمَّ جُمعَ بالتاءِ فصارَ التاءُ كالبدلِ من الياءِ، كما أُبدلتْ من الياءِ في نحوِ: فرازنةٍ وجحاجحةٍ ... وإنّما أُبدلتْ منها لتُشابهَ الياءَ والتاءَ في كونِهما للوحدةِ كتمرةٍ وروميٍّ، وللمبالغةِ كعلاّمةٍ ودوّاريٍّ، ولكونِهما زائدتينِ في بعضِ المواضعِ كظلمةٍ وكرسيٍّ[٧]".

والهاءُ في مثلِ هذا الجمعِ المُكسّرِ لازمةٌ واجبةٌ[٨]؛ لأنّها بدلٌ عن ياءِ النسبةِ. ويشترطُ أنْ يكونَ جمعُ المنسوبِ، وجمعُ المعرّبِ من الجمعِ الأقصى، أي من صيغِ مُنتهَى الجُموعِ، ولو كانَ من غيرِه لم تدخلِ الهاءُ، فلا تقولُ: في جمعِ فارسيٍّ: فرسةٌ، بل فرسٌ، ولا في جمعِ لِجامٍ لجمةٌ، بل لُجُمٌ[٩].

وقد اختصَّ الجمعُ الأقصى بالهاءِ، ليرجعَ الاسمُ بسببِ دخولِ الهاءِ إلى أصلِه من الصرفِ. أيّ أنَّ دخولَ هذه الهاءِ على الجمعِ مُسوّغٌ لصرفِهِ[١٠]. جاءَ في (لسانِ العربِ) : "... وأمّا مساجديٌّ ومدائنيٌّ فمصروفانِ؛ لأنَّ الياءَ فيهما غيرُ ثابتةٍ في الواحدِ، كما تَصْرِفُ المهالبةَ والمسامعةَ إذا أدخلتَ عليها هاءَ النسبِ"[١١].

---

(٧) شرح الكافية ١٦٣/٢.

(٨) شرح الشافية ١٨٥/٢.

(٩) شرح الكافية ١٦٤/٢.

(١٠) ارتشاف الضرب ١/ ٤٢٦ ــ ٤٢٧، وشرح الكافية ١٦٤/٢.

(١١) اللسان (بخت) ٩/٢.

٢. هاء العجمة

وربّما سمّوها هاءَ الإشعارِ بالعجمةِ. وهي هاءٌ زائدةٌ تدخلُها العربُ في جمعِ اللفظِ المعرّبِ للدلالةِ على أنَّ الواحدَ أعجميٌّ معرّبٌ، كجمعِهم الجوربَ على جَواربةٍ[١٢]، والكُرْبَجَ على كَرابجةٍ[١٣]، والصّولجَ على صَوَالجَةٍ[١٤]، والمَوْزَجَ على مَوَازِجَةٍ[١٥]، والتَّكْتَرِيَّ علة تكَاتِرَةٍ[١٦]، والطّيْلسَ أو الطّيلسانَ أو الطَّيْلُسانَ على طَيالسةٍ[١٧]، والأُلُوّةَ على ألاوِيَةٍ[١٨]. فهذه الألفاظُ، وما أشبهها ألفاظٌ أعجميّةٌ معرّبةٌ، دخلتِ الهاءُ فيها للدّلالةِ على أنَّ آحادَها أعجميّةٌ معرّبةٌ.

وقد تلحقُ هذه الهاءُ الجمعَ للعجمةِ والنسبِ في آنٍ معًا، كالهاءِ في السّبَابِجةِ[١٩]. فهي للدّلالةِ على أنَّ سبيجيًّا أعجميٌّ معرّبٌ منسوبٌ في آنٍ معًا، كأنّهم أرادُوا السبيجيّينَ. قالَ السيوطيُّ: "فلا تُجعلُ التاءُ فيه لأحد المعنيين؛ لأنّه ليسَ أولى بها من الآخرِ"[٢٠].

وبعضُ ما فيهِ الهاءُ في هذا السياقِ مختلَفٌ فيه أيضًا. فالهاءُ في البرابرةِ إمّا للعجمةِ، وإمّا للنسبِ. وكونُها للنسبِ هو الصحيحُ، كما ذكرَ ابنُ منظورٍ[٢١]. وقد ذكرَ قبلاً أنّها للعجمةِ

---

(١٢) اللسان (جرب) ٢٦٣/١. وقال الجواليقي في (المعرب ص ٢٤٣) بعد أن ذكر أن الجورب أعجمي معرب: " وقد كثر حتى صار كالعربي". وناقش المستشرق الألماني برجشتراسر في (التطور النحوي للغة العربية ص ١١٠) جمعَ جوربٍ على جواربةٍ ورأى أنّهم جمعُوا بينَ علامتين من علامات جمع التكسير، وهما التحريك والإلحاق.

(١٣) اللسان (كربج) ٣٥٢/٢. والكربج الحانوت، أو صاحب الحانوت. وينظر: المذكر والمؤنث ص ٣٣١.

(١٤) ٣١٠/٢ صلج. والصولج العود المعوجّ. وينظر: المعرب ص ٤٢٢.

(١٥) اللسان (مزج) ٣٦٧/٢. والموزج هو الخفُّ.

(١٦) اللسان (تكر) ٩٢/٤. والتكتري: القائد من قُوّاد السند.

(١٧) اللسان (طلس) ١٢٥/٦. والطيلس: ضربٌ من الأكسية أسود.

(١٨) اللسان (ألا) ٤١/١٤ ــ ٤٢. والألوة بفتح الهمزة وضمها والتشديد العود الذي يُتبخّرُ به.

(١٩) اللسان (سبج) ٢٩٤/٢. والسبابجة قوم ذوو جلد من السند والهند، يكونون مع رئيس السفينة البحرية يُبذرِقُونها، واحدهم سَبِيجيٌّ. وينظر: المعرب ص ٣٦٨.

(٢٠) همع الهوامع ٦٢/٦.

(٢١) اللسان (برر) ٥٦/٤. وبربر جيلٌ من الناس، يقال إنهم من ولد بَرِّ بن قيس بن عيلان، والبرابرة الجماعة منهم.

والنسبِ، وشبّهها بالهاءِ في السّبابجةِ(٢٢). ومثلُ ذلكَ الهاءُ في شَمَامِسَةٍ؛ فهيَ مُلحقةٌ إمّا للعجمةِ وإمَّا للعِوَضِ(٢٣) عن ياءِ شماميسَ. وهذا الخلافُ مبنيٌّ على الخلافِ في كونِ اللفظِ عربيًّا أصلاً أو مُعرّبًا.

وذكرَ سيبويه(٢٤) أنَّ أكثرَ هذا الضربِ من الأعجميِّ وُجِدَ هكذا مُكسّرًا بالهاءِ، وأنَّ العربَ ربّما جمعتِ اللفظَ من غيرِ هاءٍ، فكما قالُوا: كَرابجةٌ قالُوا أيضًا: كرابجُ(٢٥). وذكرَ ابنُ منظورٍ في موضعٍ آخرَ أنَّ إدخالَ الهاءِ في الجمعِ ليسَ واجبًا؛ فإنْ شئتَ أدخلتَها وإنْ شئتَ حذفتَها(٢٦).

وذكرَ الجواليقيُّ أنَّ جمعَ هذه الأسماءِ الأعجميّةِ المعرّبةِ يكونُ بالهاءِ، وأنَّ القليلَ منها يجمعُ بغيرِ الهاءِ(٢٧).

وناظرَ أهلُ العربيّةِ هذه الجموعَ بجموعٍ عربيّةٍ زيدتْ فيها الهاءُ للجمعِ. فنظيرُ جواربةٍ قشاعمةُ(٢٨)، ونظيرُ السبابجةِ من العربيّةِ البرابرةُ(٢٩).

---

(٢٢) اللسان (سبج) ٢٩٤/٢.
(٢٣) اللسان (شمس) ١١٤/٦. والشّمّاس من رؤوس النصارى: الذي يحلق وسط رأسه ويلزمُ البَيعة.
(٢٤) الكتاب ٦٢٠/٣.
(٢٥) اللسان (مزج) ٣٦٧/٢. وينظر أيضا (كربج) ٣٥٢/٢، و (صلح) ٣١٠، و (صغر) ٤٥٨/٤.
(٢٦) اللسان (مزج) ٣٦٧/٢، و (برر) ٥٦/٤، و) صغر) ٤٥٨. وينظر: شرح الشافية ١٨٥/٢، وشرح الكافية ١٦٣/٢.
(٢٧) المعرب ص ٥٧٥.
(٢٨) اللسان (جرب) ٢٦٣/١. والقشعم المسن من الرجال والنسور والرخَم لطول عمره. اللسان (قشعم) ٤٨٤/١٢.
(٢٩) اللسان (سبج) ٢٩٤/٢.

٣. هاء تأنيث الجمع

وتسمّى أيضًا هاءَ تحقيقِ التأنيث(٣٠)، أو تأكيده(٣١)، أو تمكينه(٣٢)، وربّما أُطلقَ عليها هاءُ الجمعِ دونَ الإشارةِ إلى أنّها لتأنيثه(٣٣).

وتزادُ في الجمعِ المُكسّرِ لتأنيثِ الجمعِ. وأكثرُ الجموعِ التي تزادُ الهاءُ فيها ما كانَ على وزنِ فِعَالٍ أو فُعُولٍ. والعلّةُ عندَ النّحويّينَ أنَّ هذينِ الجمعينِ إذا سُكِتَ عليهما اجتمعَ فيهما عندَ السكتِ ساكنانِ؛ سكونُ حرفِ العلّةِ وسكونُ آخرِ الجمعِ، فزادُوا الهاءَ، نحو: حِجارةٍ، ومِهارةٍ، وبِكارةٍ، وعِظامة، ونِفارةٍ، وفِحالة، وحِبالةٍ، وذِكارةٍ، وجِمالةٍ، وبُعُولةٍ، وفُحُولةٍ، وحُمُولةٍ، وذُكُورةٍ(٣٤)، وخُيُوطةٍ(٣٥)، وعُمُومةٍ(٣٦)، وغيرِ ذلك(٣٧).

وزيادةُ الهاءِ في الجمعِ الذي على فِعَالٍ واجبةٌ. قالَ الفرّاءُ: "والعربُ تدخلُ الهاءَ في كلِّ جمعٍ على فِعالٍ، يقولُونَ: الجِمالةُ والحِبالةُ والذّكارةُ والحِجارةُ"(٣٨). وذكرَ الهرويُّ أنّ هذه الهاءَ ليستْ بلازمةٍ في هذينِ الوزنينِ في كلّ موضعٍ(٣٩).

وبعضُ ما كانَ على فِعالةٍ مختلفٌ فيه. فَالجِراحةُ عندَ الليثِ(٤٠) الواحدةُ من طعنةٍ أو ضربةٍ. وهذا خطأٌ لا يصحُّ عندَ الأزهريِّ، ولكنّه جمعُ جُرحٍ، كما يُقالُ: حِجارةٌ وجِمالةٌ وحِبالةٌ لجمعِ الحَجَرِ والجَمَلِ والحَبْلِ(٤١).

---

(٣٠) اللسان (عمم) ٤٢٣/١٢، و (أنس) ١٢/٦.
(٣١) اللسان (بعل) ٥٨/١١.
(٣٢) اللسان (غبن) ٣١٦/١٣.
(٣٣) اللسان (جود) ٣ /١٣٦، و (دبر) ٢٧٤/٤.
(٣٤) اللسان (حجر) ١٦٥/٤. وينظر (بعل) ٥٨/١١.
(٣٥) اللسان (خيط) ٢٩٨/٧.
(٣٦) اللسان (عمم) ٤٢٣/١٢.
(٣٧) مثل: رِئالة (رأل ٢٦٢/١١) والرأل ولد النعام، وقِصارة (قصر ٩٩/٥) وهي جمع القصيرة من النساء.
(٣٨) اللسان (قصر) ٩٩/٥ ــ ١٠٠. وينظر: معاني القرآن للفراء ٢٢٥/٣.
(٣٩) الأزهية في علم الحروف ص ٢٥١.
(٤٠) العين (جرح) ٧٧/٣.
(٤١) تهذيب اللغة (جرح) ١٤٠/٤ ــ ١٤١.

وزيدتِ الهاءُ لتأنيثِ الجمعِ في غيرِ فِعَالٍ وفُعُولٍ. فزيدتْ في فَعالٍ، كصَحابةٍ في جمعِ صاحبٍ جاءَ في (اللسانِ): "وأكثرُ الناسِ على الكسرِ دونَ الهاءِ، وعلى الفتحِ معَها، والكسرُ معَها عن الفرّاءِ خاصّةً. ولا يمتنعُ أنْ تكونَ الهاءُ معَ الكسرِ من جهةِ القياسِ، على أنْ تُزادَ الهاءُ لتأنيثِ الجمعِ"(٤٢).

وممّا زيدتْ فيهِ الهاءُ أيضًا في غيرِ ما سبقَ لتأنيثِ الجمعِ، نحو: جُودَة(٤٣)، ورُوقةٍ(٤٤)، ووَحَاوِحة(٤٥)، وحَزَاوِرَة(٤٦)، وقَمَامِسة(٤٧)، وحَساكِلة(٤٨)، وخَضَارِمة(٤٩)، وصَلاقِمة(٥٠)، وعِظامة(٥١)، ولهاذِمة(٥٢)، ومَعَاوِزَة(٥٣)، وغِينَة(٥٤).

وقد تدخلُ الهاءُ لتمكُّنِ التأنيثِ في غيرِ الجمعِ. جاءَ في (لسانِ العربِ) تعقيبًا على قولِ لبيدٍ:

في كلِّ يومٍ هامتي مُقَرَّعَه قانعةٌ ولم تكنْ مُقَنَّعَه(٥٥) [الرجز]

---

(٤٢) اللسان (صحب) ٥١٩/١.

(٤٣) اللسان (جود) ١٣٤/٤. والجُودةُ جمع جواد.

(٤٤) اللسان (روق) ١٣٤/١٠. والروقة جمع رائق.

(٤٥) اللسان (وحح) ٦٣١/١. والوَحْواح السيّد.

(٤٦) اللسان (جزر) ١٨٦/٤. والحَزور الغلام الذي قد شبّ وقوي.

(٤٧) اللسان (قمس) ١٨٣/٦. والقومس: السيد.

(٤٨) اللسان (حسكل) ١٣٥/١١. وحساكلة الجند: صغارهم.

(٤٩) اللسان (خضرم) ١٨٤/١٢. والخِضرم: السيد الحَمول.

(٥٠) اللسان (صلقم) ٣٤٢/١٢. والصِّلقم: الضخم من الإبل.

(٥١) اللسان (عظم) ٤١٠/١٢. والعَظْم: الذي عليه اللحم من قصب الحيوان.

(٥٢) اللسان (لهذم) ٥٥٦/١٢. واللهذمة اللصوص. وقال ابن سيده: " ولا أعرفُ له واحدًا إلا أن يكونَ واحده مُلَهْذمًا".

(٥٣) اللسان (عوز) ٣٨٥/٥. والمِعْوَزَةُ كلّ ثوب تصون به آخر.

(٥٤) اللسان (غين) ٣١٦/١٣. والغِينَةُ: الأجمةُ.

(٥٥) ديوان لبيد ص ٣٤١. وفيه: مُقزّعه بدلا من مقرّعه. والقزع تساقط الشعر والصوف وبقاء بعضه.

"وقولُه: قانعةٌ يجوزُ أنْ يكونَ على توهّمِ طرحِ الزائدِ حتّى كأنّه قد قيلَ قَنَعَتْ، ويجوزُ أنْ يكونَ على النسبِ، أي ذات قِناعٍ، وألحقَ الهاءَ فيها لتمكنِّ التأنيثِ"[٥٦].

٤. هاء تأكيد الجمع

وتدخلُ الهاءُ في الجمعِ لتأكيدِ الجمعِ كالهاءِ في قشَاعمةٍ، وعباهلةٍ[٥٧] وصياقلةٍ وملائكةٍ[٥٨]، وأصاغرةٍ[٥٩]، وجحاجحةٍ[٦٠]، وهياطلةٍ[٦١]، ومَقاولةٍ[٦٢]. ولعلَّ ابنَ منظورٍ لم يعتدّ بأنَّ تأكيدَ الجمعِ من العللِ التي تَلحقُ بسببِها الهاءُ الجمعَ. قالَ معقّبًا على صياقلةٍ: "دخلتِ الهاءُ فيهِ لغيرِ علّةٍ من العللِ الأربعِ التي توجبُ دخولَ الهاءِ في هذا الضربِ من الجمعِ، ولكنْ على حدِّ دخولِها في الملائكةِ والقشاعمةِ"[٦٣].

ونقلَ ابنُ منظورٍ عن ابنِ سيده في علّةِ جمعِ الأصغر على أصاغرةٍ: "وإنّما ذكرتُ هذا لأنّه ممّا تلحقُه الهاءُ في حدِّ الجمعِ إذْ ليسَ منسوبًا ولا أعجميًّا ولا أهلَ أرضٍ ونحوَ ذلكَ منَ الأسبابِ التي تدخلُها الهاءُ في حدِّ الجمعِ، لأنَّ الأصغرَ لمّا خرجَ على بناءِ القَشْعَمِ، وكانُوا يقولُونَ: القشاعمةُ ألحقُوهُ الهاءَ"[٦٤]. وذكرَ في موضعٍ لاحقٍ علّةَ دخولِها في قشاعمةٍ. قالَ معقّبًا على عباهلةٍ: "والتاءُ لتأكيدِ الجمعِ كقشعمٍ وقشاعمةٍ"[٦٥]. وهذه الهاءُ على وجهٍ مؤكّدٍ لم

---

(٥٦) اللسان (قنع) ٣٠١/٨.

(٥٧) اللسان (عبهل) ٤٢٣/١١. والعباهلة الملوك الذين أقروا على ملكهم. وأجاز أيضا أن تكونَ الهاء للعوض.

(٥٨) اللسان (صقل) ٣٨٠/١١. والصيقل: شحّاذ السيوف وجلاّؤها.

(٥٩) اللسان (صغر) ٤٥٨/٤.

(٦٠) اللسان (ججج) ٤٢٠/٢. وذكر في (ججج ٤٢٠/٢) أن الهاء عوض من الياء المحذوفة.

(٦١) اللسان (هطل) ٧٠٠/١١. والهيطلُ جماعة يُغزى بهم، وقيل: جيل من الناس كانت لهم شوكة وكانت لهم بلاد طَخَيْرستان.

(٦٢) اللسان (قول) ٥٧٥/١١. والمِقوَل: الملك من ملوك حمير يقول ما يشاء.

(٦٣) اللسان (صقل) ٣٨٠/١١.

(٦٤) اللسان (صغر) ٤٥٨/٤.

(٦٥) اللسان (عبهل) ٤٣٢/١١.

تدخلْ لعجمةٍ ولا لنسبٍ كما سبقَ. وجاءَ في (لسانِ العربِ) تعقيبًا على ملائكةٍ: "دخلتْ فيه الهاءُ لا لعجمةٍ ولا لِنسبٍ، ولكنْ على حدِّ دخولِها في القشاعمة والصياقلة"(٦٦).

والغريبُ أنْ توصفَ هاءُ ملائكةٍ في موضعٍ آخرَ من (لسانِ العربِ) بأنّها زائدةٌ للتأنيث(٦٧). وهو ما أشارَ إليه بعضُ النحاة(٦٨).

وليست هذه الهاءُ بواجبةٍ في بعضِ الجموعِ. فربُّما جمعُوا الاسمَ بهاءٍ وبغيرِ هاءٍ. فكما قالُوا في الأصغرِ: الأصاغرةُ، قالُوا أيضًا: الأصاغرُ. والمشهورُ أنّهم يُسقِطونَ الهاءَ في الأعجميِّ، نحو: الجواربِ والكرابجِ(٦٩).

ويبدو أنّ هاءَ تأنيثِ الجمعِ وتأكيدِه شيءٌ واحدٌ وأنّه لا فرقَ بينَهما. فقد عرضَ الرضيُّ لزيادةِ الهاءِ لتأنيثِ الجمعِ وأوردَ الأمثلةَ التي أوردها ابنُ منظورٍ في تأكيدِ الجمعِ ولم ينصَّ على أنها لتأنيثِه، وجعلَ تأنيثَ الجمعِ وتأكيدَه شيئًا واحدًا. فذكرَ أنّ الهاءَ تدخلُ لتأكيدِ تأنيثِ الجمعِ في أَفْعِلةٍ كأغربةٍ، وفِعْلةٍ كغِلمةٍ وأنّها واجبةٌ فيهما، وتدخلُ في ثلاثةِ أبنيةٍ جوازًا. الأوّلُ فِعَالةٌ كجِمالةٍ وقد تلزمُه كحِجارةٍ وذِكارةٍ، والثاني فُعُولةٌ كصُقُورةٍ وبُعُولةٍ وقد تلزمُ كعُمُومةٍ وخُؤولةٍ، والثالثُ الجمعُ الأقصى كصياقلةٍ وملائكةٍ وهي غيرُ لازمةٍ(٧٠).

٥. هاء العوض

وتزادُ الهاءُ في الجمعِ الأقصى عوضًا عن ياءِ المدِّ قبلَ الأخيرِ. فقد يتعاورُ بعضَ الأسماءِ جمعانِ، أحدُهما بالياءِ وهو الأصلُ، والثاني بالهاءِ، ولا بدَّ أنْ يكونَ أحدُ الحرفينِ في الجمعِ، ولا يجوزُ أنْ يجتمعا، ولا يجوزُ أنْ يسقطا؛ لأنَّ كلاًّ منهما يعقبُ الآخرَ. فإذا كانَ

---

(٦٦) اللسان (ألك) ٣٩٤/١٠.

(٦٧) اللسان (لأك) ٤٨٢/١٠.

(٦٨) ينظر: الأزهية في علم الحروف ص ٢٥١، والأشباه والنظائر ١٣١/١.

(٦٩) اللسان (صغر) ٤٥٨/٤.

(٧٠) شرح الكافية ١٦٤/٢. وينظر: حاشية الصبان على الأشموني ٩٨/٤.

الجمعُ بالهاءِ كانتِ الهاءُ عِوَضًا من الياءِ المحذوفةِ للتخفيفِ، كجحاجحةَ وجحاجيحَ[٧١]، وزنادقةَ وزناديقَ[٧٢]، وأساورةٍ وأساوير[٧٣]، وأناسيةٍ وأناسِيّ في قولِ المبرّدِ[٧٤]، وعَباهلةَ وعَباهيلَ[٧٥].

والهاءُ في زنادقةٍ وجحاجحةٍ لا يصحُّ أنْ تكونَ لتأنيثِ الجمعِ؛ لأنّه لم تأتِ لذلكَ في وزنِ مفاعيلَ، إنّما جاءت في وزنِ مفاعلةٍ كملائكةٍ وصَياقلةٍ[٧٦].

وممّا يُذكرُ في هذه المباحثةِ أنَّ من النّحويّينَ من جعلَ الهاءَ في فرازنةٍ عوَضًا من الياءِ، ومن هؤلاءِ سيبويه. قالَ: "والعِوضُ في قولِهم: زَنادقةٌ وزناديقُ، وفَرازِنةٌ وفرازينُ، حذفُوا الياءَ وعوّضُوا الهاءَ"[٧٧]. وهو ما منعَه بعضُ أصحابِ أبي حيّانَ، وذهبَ إلى أنَّها يمكنُ أنْ تكونَ للجمعِ، لأنّها تُعاقبُ الياءَ في جحاجيحَ. قالَ: "قالَ بعضُ أصحابِنا: في قولِ النّحاةِ إنَّ التاءَ في فرازنةٍ عوضٌ من الياءِ نظرٌ، إذ يمكنُ أنْ تكونَ للجمعِ، كما استقرّتْ في غيرِ هذا الموضعِ، وأمكنَ أنَّهم لم يجمعُوا بينَها وبينَ التاءِ، لأنّ الاسمَ يطولُ بهما، وهما غيرُ واجبينِ في الكلمةِ. وعندَما رأى النحاةُ أنّها تُعاقبُها[٧٨] اعتقدُوا فيها أنّها للمُعاوضَةِ حتّى نسبُوا ذلكَ للعربِ، وجعلُوا أنّهم وضعُوها على معنَى المُعاوضةِ. والمعاوضةُ ليسَ معنًى تعتبرُه العربُ بحيثُ تجعلُ الهاءَ لهُ بالقصْدِ، بل هذه عبارةٌ تكونُ من النحويِّ عندَ رؤيةِ التعاقُبِ في كلامِهم ... بل إنّما ينبغي أنْ يُنسبَ إلى العربِ المعاوضَةُ إذا كانَ للتعويضِ فائدةٌ، وأيُّ فائدةٍ في إسقاطِ حرفٍ وزيادةِ آخر"[٧٩]؟

---

(٧١) اللسان (جحجح) ٤٢٠/٢. والجحجح السيد السمح. وينظر: الكتاب ١٩٦/٢.
(٧٢) اللسان (زندق) ١٤٧/١٠. وينظر: الكتاب ٢٩٣/١ ــ ٢٩٤.
(٧٣) اللسان (سور) ٣٨٨/٤.
(٧٤) اللسان (أنس) ١٢/٦. وقيل: الهاء في هذا الجمع لتأكيد الجمعية. ينظر شرح الشافية ١٩٠/٢.
(٧٥) اللسان (عبهل) ٤٢٣/١١. والعباهلة الملوك الذين أُقروا على ملكهم.
(٧٦) الأشباه والنظائر ١٣١/١.
(٧٧) الكتاب ٢٥/١. والفرزان: من لعب الشطرنج، أعجمي معرب.
(٧٨) ذكر سيبويه الهاء في نحو: جحاجحة، وزنادقة وفرازنة في أكثر من موضعٍ. فذكر أنها للعوض (الكتاب ٢٥/١، ٢٩٤)، وللبدل (الكتاب ١٩٦/٢)، وللمعاقبة (الكتاب ٢١٨/٢).
(٧٩) الأشباه والنظائر ١٣١/١.

ونُشيرُ إلى أنَّ المستشرقَ الألمانيَّ برجشتراسرَ عدَّ الهاءَ في نحوِ تلامذَةٍ عوَضًا عن مدِّ الكسرِ في تلميذٍ، أي عن الياءِ، والهاءَ في ألسنةٍ عوضًا عن مدِّ الحركةِ في لسانٍ، أي عن الألف(٨٠).

وقد يتعاكسُ الأمرُ فتحذفُ الهاءُ ويُعوّضُ منها الياءُ. فالصّماليقُ لا وجهَ له عندَ ابنِ سيده إلاّ أنْ يكونُوا قد قالُوا أيضًا: صَمَلَةٌ، فتكونُ الياءُ عِوَضًا من الهاءِ الساقطةِ(٨١).

وبعضُ هذه الجموعِ يجوزُ أنْ تكونَ فيهِ الهاءُ عِوَضًا من الياءِ، وأنْ تكونَ علامةً لتعريبِ الواحدِ الأعجميِّ(٨٢).

وفي سياقِ هاءِ العِوَضِ نُشيرُ إلى أنَّ كونَها عِوَضًا من فاءِ الكلمةِ في نحوِ: عِدَةٍ مُسوّغٌ لجمعِها بالألفِ والتاءِ، مذهوبًا بها مذهبَ الأسماءِ، فيُقالُ: عِداتٌ، لذا إذا حُذفتِ الهاءُ وعادتِ الواوُ، فلا يصحُّ الجمعُ(٨٣).

٦. الهاء الدالة على الجمع

وتدخلُ الهاءُ للدلالةِ على الجمعِ كحلوبٍ وحلوبةٍ وركوبٍ وركوبةٍ. قالَ ابنُ منظورٍ: "وحلوبةُ الإبلِ والغنمِ: الواحدةُ فما زادتْ؛ وقالَ ابنُ بريّ: ومن العربِ من يجعلُ الحلوبَ واحدةً ... ومنهم من يجعلُه جمعًا ... وكذلكَ الحلوبةُ تكونُ واحدةً وجمعًا"(٨٤).

وقد أوضحَ ذلكَ الرضيُّ، وأشارَ إلى أنَّ الهاءَ يجيءُ للدلالةِ على الجمعِ في الصفاتِ التي تستعملُ موصوفاتُها، وهي على فاعلٍ، أو فَعُولٍ، أو صفةٌ منسوبةٌ بالياءِ، أو كائنةٌ على فَعَّالٍ، كقولِهم: خرجتْ خارجةٌ على الأميرِ وسابلةٌ(٨٥) وواردةٌ، وقولِهم: ركوبٌ وركوبةٌ وحلوبٌ

---

(٨٠) التطور النحوي للغة العربية ص ١١٠.

(٨١) اللسان (صلق) ٢٠٦/١٠. والصماليق جمع الصملق لغة في السملق، وهو القاع الأملس.

(٨٢) شرح الكافية ١٦٤/٢.

(٨٣) اللسان (وعد) ٤٦٢/٣.

(٨٤) اللسان (حلب) ٣٢٨/١. وينظر: التنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح ٦٧/١.

(٨٥) ومن المناسب أن نشيرَ إلى أنّ المستشرق الألمانيّ برجشتراسر ذكر في (التطور النحوي للغة العربية ص ١١٤) أن التاءَ في سابلة وصوفية للدلالةِ على الكثرة.

وحلوبةٌ، وقولُهم: البصريّةُ والكوفيّةُ، والجمّالةُ والبغّالةُ والحمّارةُ. وذكرَ أنَّ حلوبةً قد جاءَ للواحدِ وحلوبًا للجنسِ كتمرةٍ وتمرٍ(٨٦).

وذكرَ ابنُ منظورٍ أنّهم قد يخرجونَ الهاءَ من الحلوبةِ والركوبةِ، وهم يعنونَها، فيكونُ اللفظانِ بمعنًى واحدٍ، وأنَّ الهاءَ للنقلِ من الوصفيّةِ إلى الاسميّةِ(٨٧) كما في الذبيحةِ والأكولة(٨٨).

وذكرَ أبو بكرٍ الأنباريُّ أنَّ الهاءَ في حلوبةٍ دخلتْ للفرقِ بينَ الفاعلِ والمفعولِ، ونقلَ عن الأصمعيِّ أنَّ الحلوبةَ يستوي فيها الواحدُ والجمعُ، وعن أبي عبيدةَ أنّه إذا سقطتِ الهاءُ منها لم يكنِ اللفظُ إلاّ جمعًا(٨٩).

٧. هاء جمع الجمع

وتدخلُ الهاءُ في بعضِ الجموعِ لجمعِ الجمعِ، كالهاءِ الداخلةِ في الصُّبَارَةِ. جاءَ في (لسانِ العربِ) تعقيبًا على صُبارةٍ: "... وهو جمعُ صَبَارٍ، والهاءُ داخلةٌ لجمعِ الجمعِ؛ لأنَّ الصَّبارَ جمعُ صَبْرَةٍ، وهي حِجارةٌ شديدةٌ"(٩٠).

٨. هاءُ فصلِ الآحادِ المخلوقةِ من أجناسِها، أو هاءُ الفرقِ بين الجمعِ والواحدِ، وتكونُ الهاءُ علامةَ المفردِ

وردتْ عن العربِ جموعٌ ليسَ بينها وبينَ أفرادِها فروقٌ لفظيّةٌ إلاّ الهاءَ، فبناءُ الجمعِ وبناءُ الواحدِ متطابقانِ، فإنْ أُدخلتِ الهاءُ كانَ اللفظُ للواحدِ، وإنْ أُلقيتْ كانَ اللفظُ جمعًا. وأمّا إذا انعدمَ التطابقُ اللفظيُّ بينها عُدّ الجمعُ من التكسيرِ. قالَ ابنُ منظورٍ: "والشِّرْعَةُ: الوترُ

(٨٦) شرح الكافية ١٦٣/٢.
(٨٧) اللسان (حلب) ٣٢٩/١.
(٨٨) شرح الكافية ١٦٣/٢، و ١٦٤.
(٨٩) المذكر والمؤنث ص ٤٨٦.
(٩٠) اللسان (صبر) ٤٤١/٤ .

الرقيقُ ... وجمعُه شرَعٌ على التكسيرِ، وشرْعٌ على الجمعِ الذي لا يُفارقُ واحدَهُ إلاّ بالهاءِ"[٩١]. ويُطلقُ النحاةُ على هذا النوعِ من الجمعِ اسمَ الجنسِ الجمعيّ[٩٢]، وبعضُهم يُسمّيه اسمَ جمعٍ[٩٣].

وهذا الجمعُ يجمعُ عليهِ المخلوقاتُ، وهو قياسٌ فيها. جاءَ في (اللسانِ): "الطلحُ ... واحدتُه طَلْحَةٌ، وبها سُمِّيَ الرجلُ؛ قالَ ابنُ سيده: وجمعُها عندَ سيبويه[٩٤] طُلُوحٌ كصخرةٍ وصُخورٍ، وطِلاحٌ؛ قالَ: شبّهوهُ بقَصْعةٍ وقِصاعٍ يعني أنَّ الجمعَ الذي هو على فِعالٍ إنّما هو للمصنوعاتِ كالجِرارِ والصِّحافِ، والاسمُ الدالُ على الجمعِ أعني الذي ليسَ بينَه وبينَ واحده إلاّ هاءُ التأنيثِ إنّما هو للمخلُوقاتِ نحو: النخلِ والتمرِ، وإنْ كانَ كلُّ واحدٍ من الحيّزينِ داخلاً على الآخرِ"[٩٥].

وأمّا المصنوعُ غيرُ المخلوقِ فالأصلُ ألا يُجمعَ هذا الجمعَ، وألاّ تكونَ الهاءُ فيهِ فاصلةً بينَ آحادهِ وأجناسِها، وما وردَ منهُ فهو جمعٌ قليلٌ عزيزٌ، غيرُ مقيسٍ. قالَ ابنُ منظورٍ: "والسّلُّ والسّلّةُ كالجُؤْنةِ المُطْبَقةِ، والجمعُ سَلٌّ وسِلالٌ ... وقالَ أبو الحسنِ: سَلٌّ عندي من الجمعِ العزيزِ؛ لأنّه مصنوعٌ غيرُ مخلوقٍ، وأنْ يكونَ من بابِ كوكبٍ وكوكبةٍ أولى، لأنَّ ذلكَ أكثرُ من بابِ سفينةٍ وسفينٍ"[٩٦]. يُريدُ أنَّ سَلاًّ وسَلّةً لفظانِ يدلاّنِ على مفردٍ، كما أنَّ الكوكبَ والكوكبةَ لفظانِ يدلانِ على مفردٍ وهو النجمُ، وهما يشبهانِ قولَهم: عجوزٌ وعجوزةٌ، وبياضٌ

---

(٩١) اللسان (شرع) ١٧٧/٨.

(٩٢) ويطلقُ هذا المصطلحُ أيضا على الجمعِ الذي ليس بينه وبين الواحد إلا الياء المشددة، كعرب وعربيّ، وروم وروميّ، وزَنج وزَنجيٌّ.

(٩٣) ارتشاف الضرب ٢٢٠/١.

(٩٤) ينظر الكتاب ٥٨٢/٣.

(٩٥) اللسان (طلح) ٥٣٢/٢.

(٩٦) اللسان (سلل) ٣٤٢/١١. وينظر: (سفن) ١٣/ ٢٠٩ - ٢١٠، و (قصد) ٣٥٤/٣، وجامع الدروس العربية ٩٩/١.

وبياضةٌ[٩٧]، وكونُهما من باب كوكبٍ وكوكبةٍ أولى من جعلِهما من بابِ سفينٍ وسفينةٍ ممّا كانَ الفارقُ بينَ جمعِه ومفردِه الهاءُ؛ لقلّةِ هذا البابِ في المصنوعاتِ، وكثرةِ بابِ كوكبٍ وكوكبةٍ.

ونقلَ ابنُ منظورٍ عن الفرّاءِ أنَّ هذا الضربَ من الأسماءِ يسبقُ الجمعُ فيه المفردَ، مستدلاًّ بالتشابهِ اللفظيِّ التامِّ بينَ الجمعِ والمفردِ، كما يرى أنّ كلَّ واحدٍ من هذه الأسماءِ اسمٌ لجميعِ جنسِه. قالَ ابنُ منظورٍ: "قالَ الفرّاءُ كلُّ جمعٍ على لفظِ الواحدِ الذَّكَرِ سبقَ جمعُه واحدتَه فواحدتُه بزيادةِ هاءٍ فيه، وذلكَ الصُّوفُ والوَبَرُ والشَّعَرُ والقُطْنُ والعُشْبُ، فكلُّ واحدٍ من هذه الأسماءُ اسمٌ لجميعِ جنسِه، فإذا أُفردت واحدتُه زيدتْ فيها هاءٌ؛ لأنَّ جميعَ هذا البابِ سبقَ واحدتَه، ولو أنَّ الصُّوفةَ كانتْ سابقةَ الصُّوفِ لقالُوا: صُوفةٌ وصُوَفٌ، وبُسْرةٌ وبُسَرٌ، كما قالُوا: غُرْفةٌ وغُرَفٌ وزُلْفةٌ وزُلَفٌ". أيّ أنّه لمّا لم تتغيّرْ صورةُ الجمعِ إذا ما زيدتْ فيه الهاءُ كانَ الجمعُ سابقَ المفردِ، وأمّا إذا تغيرَ البناءانِ فالمفردُ يسبقُ الجمعَ، وبهذا استدلَ الفرّاءُ بأنَّ الصُّورَ في قولِه تعالى: {فإذا نُفِخَ في الصُّورِ}[٩٨] مفردٌ وليسَ جمعًا، وأنّه لا يصحُّ أنْ يكونَ جمعَ صُورَةٍ، لأنَّ صُورَةَ الإنسانِ إنّما جمعُها صُوَرٌ؛ لأنَّ واحدتَه سبقتْ جمعَه"[٩٩].

ومقالةُ الفرّاءِ هذه أصلُ رأْيِ المستشرقِ برجشتراسرِ حينما ذهبَ إلى أنَّ أسماءَ الجملةِ أصلٌ، وأسماءَ الوحدةِ المُميَّزَةَ بإلحاقِ تاءِ التأنيثِ مُشتقّةٌ منها، وأمّا إذا كانَ العكسُ، أي إذا كانَ اسمُ الفردِ هو الأصلَ والجمعُ مُشتقًّا منه فإنّهم يُغيّرونَ بناءَ المفردِ. ويعني بأسماءِ الجملةِ الأسماءَ التي تدلُّ على جنسٍ مُتركّبٍ من الأفرادِ، كالقومِ والحيِّ والركْبِ وغيرِ ذلكَ. قالَ: "وتكلّمنا حتّى الآنَ عن الحالاتِ التي يُشتقُّ فيها من مادّةٍ واحدةٍ اسمُ فردٍ واسمُ جملةٍ، وكلاهما

---

(٩٧) اللسان (كوكب) ٧٢١/١. وذكر أبو بكر الأنباري في (المذكر والمؤنث ص ٨٩ و ص ٤٥١) أنهم أدخلوا الهاء في عجوزة على جهة الاستيثاق لتحقيق التأنيث، وإزالة الشك عن السامع وأن الأصل ألاّ تدخل لكون عجوز مخالفًا للفظ ذكره وهو شيخ. وذكر الرضي في شرح الكافية (١٦٤/٢) أن الهاء في نحو عجوزةٍ دخلت في الصفة لتأكيد معنى التأنيثِ، فعجوزٌ موضوعٌ للمؤنث، والهاءُ فيهِ غير لازمة.

(٩٨) سورة المؤمنون الآية: ١٠١، والحاقة الآية ١٣.

(٩٩) اللسان (صور) ٤٧٥/٤ـــ٤٧٦. وفي معاني القرآن للفراء ٤٢٥/٢: " وذُكِرَ عن الحسنِ أو قتادةَ أنّه قالَ: الصور جماعة الصورة".

عتيقٌ لا يمكنُنا تعيينُ أيّهما أقدمُ من صاحبِه. وهذه الحالةُ نادرةٌ. وعلى العمومِ فأحدُهما أصلٌ والآخرُ مشتقٌّ منه، فكثيرًا ما اشتقُّوا من اسمِ الجملةِ القديمِ اسمَ وحدةٍ بإلحاقِ تاءِ التأنيثِ، نحو: شاءٍ وشاةٍ، ونخلٍ ونخلةٍ ... هذا إذا كانَ اسمُ الجملةِ هو الأصلَ، وبالعكسِ إذا كانَ اسمُ الفردِ هو الأقدمَ، اشتقُّوا منه اسمَ جملةٍ، ثُمَّ جمعًا بتغييرِ بنائه"[١٠٠]. وذكرَ برجشتراسرُ أيضًا أنَّ اسمَ الوحدةِ كثيرٌ جدًّا في العربيّةِ، وأنّه قد يوجدُ في اللغةِ العبريّةِ والآراميّةِ، وإنْ لم تفرقِ العبريّةُ بينَه وبينَ اسمِ الجملةِ تفريقَ العربِ بينَهما[١٠١].

ونُنْبِهُ هُنا إلى أنَّ بناتِ الحرفينِ وَفقَ مذهبِ سيبويه[١٠٢] لا تجمعُ هذا الجمعَ، أعني الجمعَ الذي لا يُفارقُ واحدَه إلاّ بالهاءِ. فقد أَنكرَ جمعَ مائةٍ على مِئٍ بوزنِ مِعٍ، ذلكَ لأنَّ اللامَ في المفردِ حُذفتْ وعُوّضَ منها الهاءُ، ثمّ حُذِفَ الهاءُ في الجمعِ، وفي هذا إجحافٌ في الاسمِ. قالَ ابنُ منظورٍ: "والمائةُ عددٌ معروفٌ ... والجمعُ مئاتٌ ومِئونَ، ومِئٌ مثال مِعٍ، وأنكرَ سيبويهِ هذه الأخيرةَ، قالَ: لأنَّ بناتِ الحرفينِ لا يُفعلُ بها كذا، يعني أنّهم لا يَجمعُونَ عليها ما قد ذهبَ منها في الإفْرادِ ثمّ حذفَ الهاء في الجمعِ؛ لأنّ ذلكَ إجحافٌ في الاسمِ"[١٠٣].

ولمّا كانتِ هاءُ التأنيثِ فارقةً بينَ الجمعِ وبينَ المفردِ جازَ أنْ يوصفَ الجمعُ بالمفردِ؛ ذلكَ لأنَّ كلَّ جمعٍ ليسَ بينَه وبينَ واحدِه إلاّ الهاءُ فإنَّه يُوحّدُ ويُذكّرُ، كقولِهم: بَنانٌ طَفْلٌ. وإنّما جازَ أنْ يُوصفَ البنانُ، وهو جمعٌ بالطفلِ، وهو واحدٌ؛ لكونِ البنانِ جمعَ بنانةٍ، فليسَ بينَ بنانٍ وبنانةٍ إلاّ الهاءُ[١٠٤]. وقالَ في موضعٍ آخرَ: "والبنانُ: الأصابعُ، وقيلَ أطرافُها، واحدتُها بنانةٌ ... ويُقالُ: بنانٌ مخضّبٌ لأنَّ كلَّ جمعٍ بينَه وبينَ واحدِه الهاءُ فإنّه يُوحَّدُ ويُذكّرُ"[١٠٥].

---

(١٠٠) التطور النحوي للغة العربية ص ١٠٧ ــ ١٠٨.

(١٠١) التطور النحوي للغة العربية ص ١٠٨.

(١٠٢) ينظر: الكتاب ٥٩٨/٣.

(١٠٣) اللسان (مأي) ٢٦٩/١٥.

(١٠٤) اللسان (طفل) ٤٠٢/١١. وامرأة طفلة البنان: رَخْصَتُها في بياضٍ.

(١٠٥) اللسان (بنن) ٥٩/١٣.

وكذلكَ يجوزُ في هذا الجمعِ أنْ يُذكّرَ ويُؤنّثَ؛ لأنَّه جمعٌ لا يُفارقُ واحدَه إلاّ بالهاءِ. جاءَ في (لسانِ العربِ) تعقيبًا على قولِ الشاعرِ:

وعَوراء قد قيلَتْ فلم أستمعْ لها   وما الكَلِمُ العُورَانُ لي بقَتُولِ(١٠٦) [الطويل]

"وصَفَ الكلمَ بالعُورانِ لأنَّه جمعٌ وأخبرَ عنه بالقَتُولِ، وهو واحدٌ؛ لأنَّ الكلمِ يُذكّرُ ويُؤنّثُ، وكذلكَ كلُّ جمعٍ لا يُفارقُ واحده إلاّ بالهاءِ ولكَ فيهِ كلُّ ذلك"(١٠٧). ومنه أيضًا قولُ الهذليِّ(١٠٨):

من فوقِه شَعَفٌ قَرٌّ وأسفَلُهُ   جَيٌّ يُعَانِقُ بالظَّيَّانِ والعُتُمِ [البسيط]

فقد وصفَ الشّعفَ بأنّه قَرٌّ؛ "لأنَّ الجمعَ الذي لا يفارقُ واحدَه إلاّ بالهاءِ يجوزُ تأنيثُه وتذكيرُه"(١٠٩).

وعزا الرضيُّ التذكيرَ للحجازيينَ والتأنيثَ لغيرِهم. قالَ: "والجنسُ المُميّزُ واحدُه بالتاءِ يذكّرُهُ الحجازيّونَ، ويُؤنّثهُ غيرُهم. وقد جاءَ في القرآنِ كلاهما. قالَ اللهُ تعالى: {نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ}(١١٠)، و {نَخْلٍ(١١١) خَاوِيةٍ}"(١١٢).

كما أنَّ مفردَ هذا الجمعِ يقعُ على الذّكرِ والأنثى جميعًا؛ "لأنَّ الهاءَ إنّما دخلتْهُ على أنّه واحدٌ من جنسٍ، مثل حمامةٍ وبطّةٍ"(١١٣)، فهيَ إذاً ليستْ للتأنيثِ، وإنّما هيَ لواحدِ الجنسِ،

---

(١٠٦) البيت لكعب بن سعد الغنوي. ينظر: شعر كعب بن سعد الغنوي ص ١٢٨.

(١٠٧) اللسان (عور) ٦١٥/٤. والعوراء الكلمة القبيحة. وعوران الكلام: ما تنفيه الأذن.

(١٠٨) هو ساعدة بن جؤية الهذلي. والبيت في ديوان الهذليين ق ١٩٤/١، وفيه: جِيٌّ تنطّقَ، وجِيٌّ جِماعُ جِيّة، وهي منابع الماءِ.

(١٠٩) اللسان (شعف) ١٧٧/٩. وشَعَفَةُ كلِّ شيء: أعلاه. وشعفات الرأس: أعالي شعره. وينظر: المذكر والمؤنث ص ٢١٧.

(١١٠) القمر الآية ٢٠. وتتمتها: {تَنزِعُ الناسَ كأنَّهم أعجازُ ... }.

(١١١) الحاقة الآية ٧. وتتمتها: {فترَى القومَ فيها صرعَى كأنّها أعجازُ ... }.

(١١٢) شرح الكافية ١٦٢/٢.

(١١٣) اللسان (دجج) ٢٦٤/٢. وينظر: (بقر) ٧٣/٤، و (بطط) ٢٦١/٧، و (حمم) ١٥٩/١٢.

تقولُ: هذه بطّةٌ للذكّرِ والأنثى جميعًا مثل: حمامةٍ ودجاجةٍ. ولمّا كانتْ هذه الهاءُ لواحدٍ من جنسٍ لا للتأنيثِ فإنَّ العربَ إذا أرادتِ الذّكرَ خاصّةً وضعتْ لفظًا آخرَ يختصُّ به. قالَ ابنُ منظورٍ: "القَبْجُ: الحَجَلُ. والقَبْجُ: الكَرَوانُ ... والقَبْجَةُ تقعُ على الذّكرِ والأنثى حتّى تقولَ: يَعقُوبٌ، فيختصُّ بالذّكرِ؛ لأنَّ الهاءَ إنّما دخلتهُ على أنه واحدٌ من الجنسِ. وكذلكَ النّعامةُ حتّى تقولَ ظليمٌ، والنّحلةُ حتّى تقولَ يَعْسُوبٌ ... ومثلُه كثيرٌ"(١١٤).

ولدِلالةِ هذا النوعِ من الأسماءِ على الجنسِ فإنّه يدلُّ على معنى الجمعِ كما يدلُّ على معنى المفردِ والتثنيةِ، أي أنّه يقعُ على القليلِ والكثيرِ بلفظِ الواحدِ، فيصحُّ أنْ يُوقعَ لفظُ الجمعِ على المفردِ والمثنّى لدلالته على الجنسِ اتّساعًا. قالَ ابنُ منظورٍ: "الجوهريُّ(١١٥): القَصيدُ جمعُ القَصيدةِ كسَفينٍ وسَفينةٍ، وقيلَ: الجمعُ قصائدُ وقَصيدٌ؛ قالَ ابنُ جنّي: فإذا رأيتَ القَصيدةَ الواحدةَ قد وقعَ عليها القَصيدُ بلا هاءٍ فإنّما ذلكَ لأنّه وُضعَ على الواحدِ اسمُ جنسٍ اتّساعًا، كقولكَ: خرجتُ فإذا السّبُعُ، وقتلتُ اليومَ الذئبَ، وأكلتُ الخبزَ وشربتُ الماءَ"(١١٦). أيّ أنَّ هذا النوعَ من الأسماءِ يدلُّ على معنى الجمعِ كما يدلُّ على معنى المفردِ والتثنيةِ؛ لأنّه في الحقيقةِ يدلُّ على ماهيّةِ المسمّى، فإذا قلتَ: نخلٌ أو تمرٌ ... فإنَّ هذا وما أشبههُ يدلُّ على معنى الجنسِ والماهيّة(١١٧).

وبعضُ ما حُمِلَ على هذا الجمعِ يحتملُ أنْ يكونَ ليسَ منهُ، بل هو جمعُ تكسيرٍ، كدِجاجٍ جمعَ دِجاجةٍ، بكسرِ الدالِ. قالَ ابنُ منظورٍ: "والدَّجاجةُ والدِّجاجةُ: معروفةٌ ... والجمعُ دَجَاجٌ ودِجاجٌ ودَجائجُ، وفتحُ الدالِ أفصحُ. فأمّا دجائجُ فجمعٌ ظاهرُ الأمرِ، وأمّا دِجاجٌ فقد يكونُ جمعَ دجاجةٍ كسِدْرَةٍ وَسِدَرٍ، في أنّه ليسَ بينَه وبينَ واحدِه إلاّ الهاءُ. وقد يكونُ تكسيرُ دجاجةٍ على أنْ تكونَ الكسرةُ في الجمعِ غيرَ الكسرةِ التي كانتْ في الواحدِ، والألفُ غيرَ

---

(١١٤) اللسان (قبج) ٣٥١/٢. وينظر: المذكر والمؤنث ص ١٢٠ وما بعدها.

(١١٥) الصحاح (قصد) ٥٢٤/٢.

(١١٦) اللسان (قصد) ٣٥٤/٣.

(١١٧) الواضح في النحو والصرف " قسم الصرف " ص ١٥٠. وكذلكَ إذا اختلفَ الجمعُ عن المفردِ بياءِ النسب كانَ من هذا الضرب من الجموع.

الألفِ لكنّها كسرةُ الجمعِ وألفُه، فتكونُ الكسرةُ في الواحدِ ككسرةِ عينِ عِمامةٍ، وفي الجمعِ ككسرةِ قافِ قِصَاعٍ وجيمِ جِفَانٍ. وقد يكونُ جمعَ دجاجةٍ على طرحِ الزائدِ، كقولكَ: صَحْفَةٌ وصِحَافٌ، فكأنّه حينَئذٍ جمعُ دَجَّة. وأمّا دَجاجٌ فمنَ الجمعِ الذي ليسَ بينَه وبينَ واحدِه إلاّ الهاءُ كحمامةٍ وحمامٍ ويَمامةٍ ويَمامٍ"(١١٨).

ومثل دِجاجةٍ ودِجاجٍ جِراحةٌ وجِراحٌ، "فإمّا أنْ يكونَ مكسّرًا على طرحِ الزائدِ، وإمّا أنْ يكونَ من الجمعِ الذي لا يُفارقُ واحدَه إلاّ بالهاءِ"(١١٩).

وممّا حملُهُ على التكسيرِ أولى من حملِهِ على أنّه من الجمعِ الذي لا يُفارقُ واحدَه إلاّ بالهاءِ النُّعَرَةُ. قالَ ابنُ منظورٍ: "والنُّعَرَةُ: ذُبابٌ أزرقُ يدخلُ في أُنوفِ الحميرِ والخيلِ، والجمعُ نُعَرٌ. قالَ سيبويهِ: نُعَرٌ من الجمعِ الذي لا يُفارقُ واحدَه إلاّ بالهاءِ. قالَ ابنُ سيده: وأراهُ سمعَ العربَ تقولُ: هو النُّعَرُ، فحملَه ذلكَ على أنْ تأوّلَ نُعَرًا في الجمعِ الذي ذكرنا، وإلاَّ فقد كانَ توجيهُه على التكسيرِ أولى"(١٢٠). ومعنى كلامِ ابنِ سيده أنَّ النُّعَرَ لو كانَ مكسّرًا عندَ سيبويهِ لم يسُغْ فيه التذكيرُ، وذلكَ أنّه سمعَ العربَ تقولُ: هو النّعَرُ. ومثلُ النّعَرِ والنُّعَرةِ مُهيٌ ومهاةٌ، وحُكًى وحُكاةٌ، وطُلًى وطُلاةٌ، ورُطَبٌ ورُطَبَةٌ، وعُشَرٌ وعُشَرةٌ(١٢١).

وبعضُ ما يفترقُ عن واحدِه بالهاءُ من هذه الجموعِ يجوزُ أنْ يكونَ لفظُه بالهاءِ وبغيرِ الهاءِ واحدًا، ويجوزُ أنْ يكونَ مختلفًا، كالفليلة والفَليلِ. قالَ ابنُ منظورٍ: "المحكمُ: الفليلةُ والفَليلُ الشعرُ المجتمعُ، فإمّا أنْ يكونَ من بابِ سَلّةٍ وسَلٍّ وإمّا أنْ يكونَ من الجمعِ الذي لا يُفارقُ واحدَه إلاّ بالهاءِ"(١٢٢). ومن ذلكَ أيضًا الإخاذُ والإخاذةُ. قيلَ: الإخاذُ جمعُ الإخاذةِ

---

(١١٨) اللسان (دجج) ٢/٢٦٤.

(١١٩) اللسان (جرح) ٢/٤٢٢.

(١٢٠) اللسان (نعر) ٥/٢٢١. وينظر: الكتاب ٣/٥٨٥.

(١٢١) اللسان (مها) ١٥/٢٩٨.

(١٢٢) اللسان (فلل) ١١/٥٣٢.

فيكونُ من الجمعِ الذي لا يُفارقُ واحدَه إلاّ بالهاءِ، وقيلَ: الإخاذُ والإخاذةُ بالهاءِ وغيرِ الهاءِ جمعُ إخذٍ(١٢٣).

ولمّا كانَتِ الهاءُ هي التي تفرقُ الواحدَ من جمعِهِ كانَ (صُبَابِ الكَرَى) في قولِ الشاعرِ:

وليلٍ هَدَيْتُ به فِتيَةً سُقُوا بِصُبَابِ الكَرَى الأغيدِ [المتقارب]

مُلبسًا. فقد يجوزُ أنّه أرادَ المفردَ، أي بصبّابةِ الكَرَى، فأسقطَ الهاءَ، وقد يجوزُ أنّه أرادَ الجمعَ، فيكونُ جمعَ صُبابةٍ، وهو الجمعُ الذي لا يُفارقُ واحدَه إلاّ بالهاءِ(١٢٤).

وكما تفصلُ الهاءُ الآحادَ المخلوقةَ من أجناسِها تفصلُ كذلكَ آحادَ المصادرِ من أجناسِها، نحو: ضربَ ضربةً، وأخرجَ إخراجةً، واستخرجَ استخراجةً. وهو مَقيسٌ في هذا الجنسِ(١٢٥).

٩. هاءُ الفرقِ بين الجمعِ والواحدِ وتكونُ الهاءُ علامةَ الجمعِ

أوردَ ابنُ منظورٍ مثالينِ اثنينِ، هما كَمْأَةٌ ورَجْلَةٌ، لهذا النوعِ من الجمعِ الذي يكونَ دخولُ الهاءِ فيهِ علامةَ الجمعِ وسقوطُها علامةَ الواحدِ، وذكرَ أنَّ ذلكَ على غيرِ قياسٍ، وأنّه من النوادرِ، لأنَّ القياسَ هو العكسُ.

أمّا كَمْأَةٌ فقد نقلَ ابنُ منظورٍ أقوالاً فيه متعدّدةً لأهلِ اللغةِ نسوقُها كما جاءتْ في (لسانِ العربِ). قالَ: "الكَمْأَةُ واحدُها كَمْءٌ على غيرِ قياسٍ، وهو من النوادرِ. فإنَّ القياسَ العكسُ ... والجمعُ أَكْمُؤٌ وكَمْأَةٌ. قالَ ابنُ سيده: هذا قولُ أهلِ اللغةِ. قالَ سيبويه(١٢٦): ليستْ الكَمْأَةُ بجمعِ كَمْءٍ؛ لأنَّ فَعْلَةً ليسَ ممّا يُكسّرُ عليهِ فَعْلٌ، إنّما هو اسمُ جمعٍ. وقالَ أبو خيرةَ وحدَه:

(١٢٣) اللسان (أخذ) ٤٧٤/٣. والإخاذة لها أكثر من معنى، منها الضيعةُ يتخذها الإنسان لنفسه، ومنها مصنعٌ للماء يجتمع فيه. والإخذُ: صَنَعُ الماءِ يجتمعُ فيهِ. وفي (المذكر والمؤنث ص ٤٤٢) لأبي بكر الأنباري باب عنوانه "ما يقال بالهاء وبغير الهاء".

(١٢٤) اللسان (صبب) ٥١٦/١.

(١٢٥) شرح الكافية ١٦٢/٢.

(١٢٦) ينظر: الكتاب ٦٢٤/٣.

كَمْأَةٌ للواحدِ وكَمْءٌ للجميعِ. وقالَ مُنتَجِعٌ: كَمْءٌ للواحدِ وكَمْأَةٌ للجميعِ. فمرَّ رؤبةُ فسألاهُ، فقالَ: كَمْءٌ للواحدِ وكَمْأَةٌ للجميعِ، كما قالَ مُنتجِعٌ. وقالَ أبو حنيفةَ: كَمْأَةٌ واحدةٌ وكَمْأتانِ وكَمْآتٌ. وحُكِيَ عن أبي زيدٍ أنَّ الكَمْأَةَ تكونُ واحدةً وجمعًا. والصحيحُ من ذلكَ ما ذكرَهُ سيبويه. أبو الهيثمِ: يُقالُ كَمْءٌ للواحدِ وجمعُه كَمْأَةٌ، ولا يُجمعُ شيءٌ على فَعْلَةٍ إلاّ كَمْءٌ، وكَمْأَةٌ ورَجْلٌ ورَجْلَةٌ. شمرٌ عن ابنِ الأعرابيِّ: يُجمعُ كَمْءٌ أَكْمُؤًا، وجمعُ الجمعِ كَمْأَةٌ. وفي الصّحاحِ: تقولُ هذا كَمْءٌ وهذانِ كَمْآنِ وهؤلاءِ أَكْمُؤٌ ثلاثةٌ، فإذا كثُرتْ، فهي الكَمْأَةُ"(١٢٧).

وأمّا رَجْلَةٌ فقد ذكرُ ابنُ منظورٍ في موضعٍ آخر من (اللسان) أنّه جمعُ رَجُلٍ، وأنَّ سيبويه(١٢٨) جعلَهُ بدلاً من أرجالٍ، لأنَّهم لم يُكسّروه على ذلكَ. ونقلَ عن أبي زيدٍ أنّهم جمعُوا رَجُلاً على رَجِلَةٍ، وأنّ أبا العباسِ(١٢٩) ذهبَ إلى أنَّ رَجْلَةً مخفّفٌ عنه. وذكرَ أيضًا أنّهم قالُوا في رَجِلَ الرجلُ إذا لم يكنْ لهُ ظهرٌ يركبُه: فهو رَجُلٌ ورَجِلٌ ورَجْلٌ وأنّ الجمعَ رِجالٌ ... ورَجْلَةٌ ورِجْلَةٌ ورِجَلَةٌ(١٣٠).

وأثبتَ الهرويُّ هذا الضربَ من الجموعِ وذكرَ في أمثلته الكَمْءَ للواحدِ والكَمْأَةَ للجمعِ، وهذا حَمّارٌ وهؤلاءِ حمّارةٌ، وبغَالٌ وبغّالةٌ وجَمّالٌ وجَمّالةٌ(١٣١). وأشارَ الرضيُّ كذلكَ إلى أنَّ الهاءَ ربّما لحقتْ الجنسَ وفارقتِ الواحدَ، وذكرَ أنّه قليلٌ، ومثّلَ لهُ بكَمْأَةٍ وفقعةٍ للجنسِ وكَمْءٍ وفَقْعٍ للواحدِ، كما ذكرَ أنَّ مذهبَ بعضِهم أنَّ ما فيه الهاءُ للوحدةِ، والمجردَ منها للجنسِ، وأنّ الأكثرينَ على الأولِ(١٣٢)، كما أشارَ الرضيُّ إلى أنَّ الهاءَ في نحوِ: حمّارةٍ وجمّالةٍ وبغّالةٍ للدلالةِ على الجمعِ للتأنيثِ كما في ضاربةٍ، وليسَ كما في كَمْأَةٍ وكَمْءٍ، "وذلكَ لأنَّ ذا التاءِ في مثلِهِ صفةٌ للجماعةِ تقديرًا كأنّه قيلَ: جماعةٌ جمّالةٌ فحذفَ الموصوفَ لزومًا للعلمِ بهِ"(١٣٣).

---

(١٢٧) اللسان (كمأ) ١٤٨/١ ــ ١٤٩.
(١٢٨) ينظر: الكتاب ٥٧٣/٣ ــ ٥٧٤.
(١٢٩) ينظر: المقتضب ٢٠١/٢.
(١٣٠) اللسان (رجل) ٢٦٦/١١ وما بعدها.
(١٣١) الأزهية في علم الحروف ص ٢٥٠.
(١٣٢) شرح الكافية ١٦٢/٢. وينظر: همع الهوامع ٦٢/٦.
(١٣٣) شرح الكافية ١٦٣/٢.

١٠. الجمع بالواو والنون

منَ الشروطِ التي يشترطُها النحاةُ لجمعِ الصفةِ بالواوِ والنونِ أنْ تكونَ الصفةُ خاليةً من هاءِ التأنيثِ صالحةً لدخولها(١٣٤)، كمسلمينَ وساجدينَ ومستغفرينَ وما أشبهَها. ولذلكَ لا يصحُّ جمعُ أفعلَ فعلاءَ ولا فعلانَ فَعلَى بالواوِ والنونِ، لأنَّ المؤنّثَ لا تدخلُه الهاءُ(١٣٥). فلا يُقالُ في أحمرَ أحمرونَ، ولا في عطشانَ عطشانونَ، لعدمِ قولهم: أحمرةٌ وعطشانةٌ.

وبعضُ فعلانٍ فعلانةٍ ممّا دخلتِ الهاءُ أُنثاهُ لم يُجمعْ أيضًا بالواوِ والنونِ. قالُوا: خَمْصانٌ وخَمصانةٌ، والجمعُ خِماصٌ، ولم يجمعُوه بالواوِ النونِ، حملاً لهُ على فعلانَ الذي أُنثاهُ فَعلى، وعلّةُ الحملِ أنَّه مثلُه في العدّةِ والحركةِ والسكونِ(١٣٦). وقالَ أبو الحسنِ الأخفشُ معللاً عدمَ جمعِ فعلانٍ بالواوِ والنونِ: "إنّما ذلكَ لأنَّ الغالبَ على فَعْلانَ أنْ يكونَ أُنثاهُ بالألفِ، نحو: رَيّانَ وريّا وسكرانَ وسَكرى، وأمّا بابُ نَدمانةٍ وسَيْفَانةٍ فيمن أخذَه من السيفِ ومَوْتانةٍ فعزيزٌ بالإضافةِ إلى فعلانَ الذي أنثاهُ فَعلى"(١٣٧).

كما لا يصحُّ ذلكَ في فعيلٍ بمعنى مفعولٍ(١٣٨)، كرجلٍ جريحٍ، ولا في مِفْعالٍ ولا مِفْعيلٍ كمِكثارٍ(١٣٩) ومِكثيرٍ(١٤٠)؛ ولا فَعُولٍ(١٤١) لأنَّ المؤنّثَ في كلٍّ أولئكَ لا تدخلُه الهاءُ.

وقد قالُوا في مسكينٍ: مِسكينونَ، جمعُوه بالواوِ والنونِ ومعلومٌ أنَّ مِفعيلاً يستوي فيهِ المذكّرُ والمؤنّثُ. ووجهُ هذا الجمعِ، كما يرى الأخفشُ، أنَّ مِفعيلاً يقعُ على الذكرِ والأنثى بغيرِ هاءٍ "ما دامتِ الصيغةُ للمبالغةِ، فلمّا قالُوا: مِسكينةٌ يعنونَ المؤنّثَ، ولم يقصدُوا به

---

(١٣٤) اللسان (زمل) ٣١١/١١.

(١٣٥) اللسان (عجل) ٤٢٥/١١ .

(١٣٦) اللسان (خمص) ٢٩/٧. ونقل أن ابنَ الأعرابي حكى: امرأة خمصى.

(١٣٧) اللسان (ندم) ٥٧٣/١٢.

(١٣٨) اللسان (جرح) ٤٢٢/٢. وينظر: (لدغ) ٤٤٨/٨ ــ ٤٤٩.

(١٣٩) اللسان (هذر) ٢٥٩/٥. وينظر: (قول) ٥٧٣/١١.

(١٤٠) اللسان (كثر) ١٣٢/٥.

(١٤١) اللسان (كفر) ١٤٤/٥. دخلت الهاء فَعُولاً مؤنثا، قالوا: عدوّة الله. وينظر أيضا (عدا) ٣٣/١٥.

المبالغةَ شبّهوهَا بفقيرةٍ، ولذلكَ ساغَ جمعُ مذكّرِه بالواوِ والنونِ". وقيلَ: إنّما جمعُوه بالواوِ والنونِ من حيثُ قالُوا لجماعةِ الإناثِ: مسكيناتٌ، لأجلِ دخولِ الهاءِ(١٤٢).

١١. الجمع بالألف والتاء

وكما كانَ دخولُ الهاءِ في المفردِ مُسوّغًا لجمعِ الاسمِ بالواوِ والنونِ وعدمُ ذلكَ مانعًا لجمعِه ذلكَ الجمعِ كانَ أيضًا دخولُها مُسوّغًا لجمعِه بالألفِ والتاءِ، وعدمُه مانعًا لذلكَ. فقد سبقتِ الإشارةُ قبلَ قليلٍ إلى أنَّ مسكيناتٍ جُمعتْ بالألفِ لأجلِ دخولِ الهاءِ في المفردِ، وأنَّ عِدةً جُمعتْ بالألفِ والتاءِ، مذهوبًا بها مذهبَ الأسماءِ، لأجلِ الهاءِ العوضِ، لذا فإذا حُذفتِ الهاءُ وعادتِ الواوُ، فلا يصحُّ الجمعُ(١٤٣).

وأمّا إذا لم تدخلِ الهاءُ المفردَ فيمتنعُ جمعُهُ بالألفِ والتاءِ. جاءَ في (لسان العرب): "وناقةٌ صَفِيٌّ أي غزيرةُ اللّبنِ، والجمعُ صَفايا؛ قالَ سيبويهِ: ولا يُجمعُ بالألفِ والتاءِ لأنَّ الهاءَ لم تدخلْه في حدِّ الإفرادِ(١٤٤)".

وممّا يتصلُ بالهاءِ في هذا السياقِ تشبيهُ تاءِ الجمعِ بهاءِ التأنيثِ وعكسُهُ في صرفِ المفردِ الذي لفظُه لفظُ جماعةٍ لواحدٍ. فالعلّةُ في صَرفِ أَذْرِعَات وعدمِ صرفِها عندَ سيبويهِ(١٤٥) شبَهُ تاءِ الجمعِ بهاءِ التأنيثِ. قالَ ابنُ منظورٍ: "وأَذْرِعات بكسرِ الرّاءِ: بلدٌ يُنسبُ إليهِ الخمرُ؛ قالَ الشاعرُ:

تَنوّرتُها من أَذْرِعاتٍ وأهلُها بيثربَ أدنى دارِها نَظَرٌ عالي(١٤٦) [*الطويل*]

يُنشدُ بالكسرِ بغيرِ تنوينٍ من أذرعات، وأمّا الفتحُ فخطأٌ؛ لأنَّ نصبَ تاءِ الجمعِ وفتحَه كسرةٌ. قالَ: والذي أجازَ الكسرَ بلا صرفٍ فلأنّه اسمٌ لفظُه لفظُ جماعةٍ لواحدٍ، والقولُ الجيّدُ

---

(١٤٢) اللسان (سكن) ٢١٧/١٣.

(١٤٣) اللسان (وعد) ٤٦٢/٣.

(١٤٤) اللسان (صغا) ٤٦٣/٤.

(١٤٥) ينظر: الكتاب ٢٣٣/٣ - ٢٣٤.

(١٤٦) البيت لامرئ القيس وهو في ديوانه ص ٣١.

عندَ جميعِ النحويين الصرفُ، وهو مثلُ عرفات، والقرّاءُ كلُّهم في قولِه تعالى: {من عَرَفاتٍ}(١٤٧) ... قالَ سيبويهِ: ومن العربِ من لا يُنوّنُ أذرعات، يقولُ: هذه أذرعاتُ ورأيتُ أذرعاتِ، برفعِ التاءِ وكسرِها بغيرِ تنوينٍ ... وقالَ سيبويهِ: أذرعات بالصرف وغير الصرف، شبّهوا التاءَ بهاءِ التأنيث، ولم يحفلُوا بالحاجزِ لأنّه ساكنٌ، والساكنُ ليسَ بحاجزٍ حصينٍ، إنْ سألَ سائلٌ فقالَ: ما تقولُ فيمن قالَ: هذه أذرعاتُ ومسلماتُ، وشبّهَ تاءَ الجماعةِ بهاءِ الواحدةِ فلم يُنوّنْ للتعريفِ والتأنيث، فكيفَ يقولُ إذا نكّرَ أيُنوّنُ أم لا ؟ فالجوابُ إنَّ التنوينَ مَعَ التنكيرِ واجبٌ هنا لا محالةَ لزوالِ التعريفِ، فأقصى أحوالِ أذرعات إذا نكّرتها فيمن لم يصرفْ أنْ تكونَ كحمزةَ إذا نكّرتَها، فكما تقولُ: هذا حمزةُ وحمزةٌ آخرُ فتصرفُ النكرةَ، فكذلكَ تقولُ: عندي مسلماتُ ونظرتُ إلى مسلماتٍ أخرى فتنوّنُ مسلماتٍ لا محالةَ"(١٤٨).

ومن ذلكَ أيضًا الهاءُ في قولِهم في الدعاءِ عليهِ: استأصلَ اللهُ عِرقاتَهم، بنصبِ التاءِ وكسرِها. فعِرقاتِهم بالكسرِ جمعُ عِرْقٍ فيكونُ من المذكّرِ الذي جمعَ بالألفِ والتاءِ كسِجلٍّ وسجِلاّتٍ وحمّامٍ وحمّامات. ومنْ نصبَ التاءَ؛ قيل: جعلَها واحدةً مؤنّثةً، وقيلَ: أجراهُ مُجرى سِعلاة، وقيلَ: قد يكونُ عِرقاتَهم جمعَ عِرْقٍ وعِرْقةٍ كما قالَ بعضُهم: رأيتُ بناتَكَ، شبّهوها بهاءِ التأنيثِ، كما أنَّ هذه له. ومنعَ الأزهريُّ كسرَ التاءِ في موضعِ النصبِ وجعْلَها جمعَ عِرقةٍ، وخطّأَ ذلكَ(١٤٩).

١٢. الجمع على فِعْلان

يذكرُ النُّحاةُ أنَّ ما فيهِ الهاءُ لا يُجمعُ على فِعلانٍ، لذلكَ فقولُهم: وِزْعَانٌ ليسَ جمعَ وَزَعَةٍ، وإنّما هو جمعُ وَزَعٍ الذي هو جمعُ وَزعةٍ. قالَ ابنُ سيده: "وعندي أنَّ الوِزْعَانَ إنّما هو جمعُ وَزَعٍ الذي هو جمعُ وَزَعةٍ كَوَرَلٍ وورْلانٍ؛ لأنَّ الجمعَ إذا طابقَ الواحدَ في البناءِ،

---

(١٤٧) البقرة الآية ١٩٨.

(١٤٨) اللسان (ذرع) ٩٧/٨ - ٩٨.

(١٤٩) اللسان (عرق) ٢٤٢/١٠.

وكانَ ذلكَ الجمعُ ممّا يُجمعُ جُمِعَ على ما جُمعَ عليه الواحدُ، وليسَ بجمعٍ وَزَعَةٍ، لأنَّ ما فيهِ الهاءُ لا يُجمعُ على فِعْلانٍ"(١٥٠).

١٣. الجمع على أَفْعُل

ويمنعُ النّحاةُ كذلكَ أنْ يُجمعَ ما فيهِ هاءُ التأنيثِ على أَفْعُلٍ، إلاّ أنّهم قالُوا في نِعْمَةٍ: أَنْعُمٌ. ووجهُ ذلكَ، كما يرى ابنُ جني، أنّهم حذفُوا الهاءَ ثمَّ جمعُوا، فصارَ كقولِهم: ذِئبٌ وأذؤبٌ، ونِطعٌ وأنطعٌ، وغيرِ ذلكَ(١٥١).

١٤. الجمع على فُعُلٍ

ذكرَ ابنُ منظورٍ أنَّ جمعَ السَّديسِ سُدُسٌ، ونقلَ عن سيبويهِ(١٥٢) أنّهم "كسّروهُ تكسيرَ الأسماءِ؛ لأنّه مناسبٌ للاسمِ، لأنَّ الهاءَ تدخلُ في مؤنّثه"(١٥٣)؛ لأنَّ سَديسًا صفةٌ وما يُجمعُ عليهِ وصفًا ما كانَ على فَعُولٍ بمعنى فاعلٍ كصَبورٍ وصُبُرٍ، أو بمعنى مفعُولٍ كرسولٍ ورُسُلٍ. وأمّا سديسٌ فصفةٌ ليستْ كذلكَ. وتتمثّلُ المناسبةُ التي أشارَ إليها سيبويهِ في أنَّ فُعُلاً يُجمعُ عليهِ ما كانَ اسمًا رُباعيًّا، لامُه حرفٌ صحيحٌ، وقبلَ آخرِه حرفُ مدٍّ، وغيرُ مختومٍ بهاءِ التأنيث(١٥٤)، وكذلكَ سديسٌ. ونقلَ عن غيرِه أنَّ الإناثَ في الأسنانِ كلّها بالهاءِ إلاّ السَّديسَ والسَّدَسَ والبازلَ(١٥٥).

---

(١٥٠) اللسان (وزع) ٤٥٩/٨. والوزعان: سوامُّ أبرصَ. وذكرَ النحاة أن ما يجمع على فعلانٍ جمعا مقيسا الأسماءُ التي على وزن **فُعال** كغرابٍ غِربان، **وفُعَل** كجُرذٍ وجِرذان، **وفَعَل** كجَارٍ وجيران، وسمع هذا الجمعُ في غَزالٍ وأخ وشيخٍ فقالوا: غِزلانٍ وإخوانٍ وشِخانٍ. ينظر: الواضح في النحو والصرف " قسم الصرف " ص ١٣٥ - ١٣٦.

(١٥١) اللسان (نعم) ٥٨٠/١٢.

(١٥٢) ينظر: الكتاب ٦٣٥/٣.

(١٥٣) اللسان ١٠٤/٦.

(١٥٤) الواضح في النحو والصرف " قسم الصرف " ص ١٢٥.

(١٥٥) اللسان (سدس) ١٠٤/٦ - ١٠٥. والسديس: السن التي بعد الرّباعِيَة، والسدس السن التي قبل البازل.

١٥. سقوط الهاء

يذكرُ النحاةُ أنَّ الهاءَ تسقطُ للجمعِ بشرطِ أنْ لا يُغيِّرَ سقوطُها من صيغةِ حروفِ اللفظِ وحركاتِه، ولا يُزادَ على طرحِ الهاءِ، نحو: تَمْرَةٍ وتَمْرٍ ونَخْلَةٍ ونَخْلٍ. وقد وردتْ عن العربِ جموعٌ مخالفةٌ للشرطِ السابقِ، فقالُوا في جمعِ مَعِدَةٍ ومِعْدَةٍ: مَعِدٌ ومِعَدٌ. وفي تفسيرِ ذلكَ قولانِ: أحدُهما أنَّهم توهّمُوا فيه فعِلَةٍ، والثاني لابنِ جنّي. قالَ في جمعِ مَعِدَةٍ: معَدٌ: "وكانَ القياسُ أنْ يقولُوا: مَعِدٌ، كما قالُوا في جمعِ نَبِقَةٍ نَبِقٌ، وفي جمعِ كَلِمَةٍ كَلِمٌ، فلم يقولُوا ذلكَ، وعدلُوا عنه إلى أنْ فتحُوا المكسورَ وكسرُوا المفتوحَ ... فلولا أنَّ الكسرةَ والفتحةَ عندَهم تجريانِ كالشيءِ الواحدِ لما قالُوا: مَعِدٌ ونَقِمٌ في جمعِ مِعْدَةٍ ونِقْمَةٍ، وقياسُه نِقْمٌ ومِعْدٌ"(١٥٦).

ووردتْ عن العربِ جموعٌ لمؤنّثٍ بالهاءِ على توهّمِ سُقوطِ الهاءِ، كجمعهم البَحيرةَ على بُحُرٍ، وصَرِيمةً على صُرُمٍ. وهذا الجمعُ غريبٌ في المؤنّثِ. ووجهُه عندَهم توهّمُ طرحِ الهاءِ، حملاً له على المذكّرِ، نحو: نذيرٍ ونُذُرٍ(١٥٧). وكجمعِهم صحيفةٍ على صُحُفٍ، "كأنّهم جمعُوا صَحيفًا، حينَ علمُوا أنَّ الهاءَ ذاهبةٌ"(١٥٨).

١٦. تصغير الجمع

إذا كانَ الجمعُ المرادُ تصغيرُه اسمَ جمعٍ لا واحدَ له من لفظِه، وكانَ للآدميّينَ، كقومٍ ورهطٍ ونَفَرٍ، فيُصغّرُ على لفظِه، ولا تدخلُ فيهِ الهاءُ، وإنْ جازَ أنْ يُذكَّرَ أو يُؤنّثَ، كقولِه تعالى: {كذّبتْ قومُ نوحٍ}(١٥٩)، وقولِه: {وكذّبَ به قومُكَ }(١٦٠)؛ وذلكَ لأنَّ التأنيثَ غيرُ لازمٍ له، وإنّما يلحقُ التأنيثُ فعلَه، وأمّا إذا كانَ اسمَ جمعٍ أو اسمَ جنسٍ لغيرِ الآدميّينَ، كالإبلِ والغنمِ فالهاءُ تدخلُ في تصغيرِه، فتقولُ: أُبَيلة وغُنَيمة؛ لأنَّ التأنيثَ لازمٌ لها(١٦١).

---

(١٥٦) لسان العرب (معد) ٤٠٥/٣.
(١٥٧) لسان العرب (بحر) ٤٤/٤ ــ ٤٥.
(١٥٨) لسان العرب (صحف) ١٨٦/٩.
(١٥٩) الشعراء الآية ١٠٥.
(١٦٠) الأنعام الآية ٦٦.
(١٦١) لسان العرب (قوم) ٥٠٥/١٢.

ونقلَ أبو بكرٍ الأنباريُّ عن الكسائيِّ أنَّ الغَنمَ تُصغَّرُ بالهاءِ وبغيرِ الهاءِ[١٦٢]. وقالَ أبو حيانَ: "وسمعَ الكسائيُّ غُنيمًا"[١٦٣].

الخلاصة

فقد تبيّنَ من خلالِ عرضِ الهاءِ ومناقشةِ دورِها في الجمعِ فيما ذكرَه ابنُ منظورٍ في (لسانِ العربِ) أنَّ العربَ تستخدمُها في الجمعِ لعللٍ وأسبابٍ متعدّدة؛ لتؤدِّيَ جملةً من المعاني، وأنَّ هذه المعانيَ متعدّدةٌ متخالفةٌ، إنْ دلّتْ على شيءٍ فإنّما تدلُّ على انفساحٍ وسَعَةٍ في أساليبِ العربيّةِ.

وقد نقلَ ابنُ منظورٍ عنِ ابنِ سيده بعضَ هذهِ الأسبابِ، وذكرَ مرّةً أنّها ثلاثٌ وعدّدَها، ومرّةً أخرى ذكرَ أنّها أربعٌ، ولكنّه لم يُسمّها[١٦٤]. والأسبابُ الثلاثةُ التي ذكرَها هي: أنْ يكونَ الجمعُ أعجميًّا، أو منسوبًا، أو أهلَ أرضٍ. قالَ ابنُ منظورٍ: "وقد جُمعَ الصّغيرُ في الشّعرِ على صُغَراءَ؛ أنشدَ أبو عمرٍو:

ولِلْكُبَراءِ أَكْلٌ حَيثُ شأءُوا وللصُّغَراءِ أكلٌ واقتثامُ[١٦٥] [الوافر]

والمَصْغُورَاءُ: اسمٌ للجمعِ. والأصاغرةُ: جمعُ الأصغرِ. قالَ ابنُ سيده: وإنّما ذكرتُ هذا لأنّه ممّا تلحقُه الهاءُ في حدِّ الجمعِ إذْ ليسَ منسوبًا، ولا أعجميًّا، ولا أهلَ أرضٍ، ونحوَ ذلكَ من الأسبابِ التي تدخلُها الهاءُ في حدِّ الجمعِ"[١٦٦].

وإذا ما كانَ ابنُ منظورٍ قد أشارَ في النصِّ السابقِ صراحةً إلى بعضِ الأسبابِ التي تدخلُ الهاءُ في الجمعِ لأجلِها، فقد تضمّنتْ مناقشاتُه اللغويّةُ غيرَها ممّا لم يُفصحِ عنهُ بصريحِ

---

(١٦٢) المذكر والمؤنث ص ٧٠٥.

(١٦٣) ارتشاف الضرب ١٨٤/١ .

(١٦٤) اللسان (صقل) ٣٨٠/١١.

(١٦٥) البيت للحارث بن خالد المخزومي. ينظر: شعر الحارث بن خالد المخزومي ص ٩٣.

(١٦٦) اللسان (صغر) ٤٥٨/٤.

العبارةِ، كتأنيثِ الجمعِ، وتأكيدِه، والعِوَضِ، والدَّلالةِ على الجمعِ، وعلى جمعِ جمعِهِ، وفصلِ الأحادِ المخلوقةِ من أجناسِها، سواءٌ أكانتْ الهاءُ علامةً للمفردِ، أم علامةً للجمعِ.

كما تبيّنَ أنَّ للهاءِ دورًا واضحًا في بعضِ الجموعِ، كجمعي السلامةِ، وما كانَ من الجمعِ على وزنِ فِعْلانٍ، وأَفْعُلٍ، وفُعُلٍ، سواءٌ أكانَ هذا الدورُ مُسوّغاً لتلكَ الجموعِ، أم غيرَ مُسوّغٍ، كما تبيّنَ أيضًا أنَّ لها دورًا في بعضِ الأحكامِ اللغويّةِ والتصريفيّةِ، كسقوطِها للجمعِ، وإدخالِها أو عدمِه في تصغيرِ اسم الجمعِ واسمِ الجنسِ الجمعيِّ.

ثبت المصادر

١) الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد: "تهذيب اللغة"، تحقيق محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب، القاهرة، (بلا تاريخ).

٢) امرؤ القيس: "ديوان امرئ القيس"، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، **الطبعة الرابعة**، دار المعارف، القاهرة، (بلا تاريخ).

٣) الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم: "المذكر والمؤنث"، تحقيق طارق الجنابي، **الطبعة الأولى**، مطبعة العاني، بغداد، (١٩٧٨م).

٤) برجشتراسر: "التطور النحوي للغة العربية"، أخرجه وصححه وعلق عليه رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الرفاعي بالرياض، (١٩٨٢م).

٥) ابن بري، أبو محمد عبد الله: "التنبيه والإيضاح عمّا وقع في الصحاح"، تحقيق وتقديم مصطفى حجازي، **الطبعة الأولى**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٨٠م).

٦) الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد: "المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم"، تحقيق ف. عبد الرحيم، **الطبعة الأولى**، دار القلم، دمشق، (١٩٩٠م).

٧) الجوهري، إسماعيل بن حماد: "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية"، تحقيق أحمد عبد الغفور، **الطبعة الثالثة**، دار العلم للملايين، بيروت، (١٩٨٤ م).

٨) الحلواني، محمد خير: "الواضح في النحو والصرف-قسم الصرف"، دار المأمون للتراث، دمشق، (بلا تاريخ).

٩) أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف: "ارتشاف الضرب من لسان العرب"، تحقيق وتعليق مصطفى أحمد النماس، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، (١٩٩٧م).

١٠) الفراهيدي، الخليل بن أحمد: "كتاب العين"، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، **الطبعة الثانية**، دار ومكتبة الهلال، بغداد، (١٩٨٦م).

١١) رضي الدين الاستراباذي، محمد بن الحسن: (أ) "شرح شافية ابن الحاجب"، حققها محمد نور الحسن وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، (٩٧٥ م). (ب) "شرح الكافية في النحو"، **الطبعة الثانية**، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٩٧٩م).

١٢) سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر: "الكتاب"، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٧٣م).

١٣) السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال: (أ) "الأشباه والنظائر"، حققه طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهري، القاهرة، (١٩٧٥م). (ب) "همع الهوامع"، تحقيق وشرح عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، (١٩٨٠م).

١٤) الصبان، محمد بن علي: "حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك"، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، القاهرة، (بلا تاريخ) .

١٥) الغلاييني، مصطفى: "جامع الدروس العربية"، **الطبعة الثالثة عشرة**، المكتبة العصرية، بيروت صيدا، (١٩٧٣م).

١٦) الغنوي، كعب بن سعد: "شعر كعب بن سعد الغنوي"، جمع وتحقيق ودراسة عبد الرحمن محمد الوصيفي، **الطبعة الأولى**، دار الوفاء، المنصورة، (١٩٩٨ م).

١٧) الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد: "معاني القرآن"، **الطبعة الثانية**، عالم الكتب، بيروت، (بلا تاريخ).

١٨) لبيد بن ربيعة: "شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري"، حققه وقدم له إحسان عباس، الكويت، (١٩٦٢م).

١٩) المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد: "المقتضب"، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، (بلا تاريخ).

٢٠) المخزومي، الحارث بن خالد: "شعر الحارث بن خالد المخزومي"، تحقيق يحيى الجبوري، بغداد، (١٩٧٢م).

٢١) ابن منظور، محمد بن مكرم: "لسان العرب"، دار صادر، بيروت، (بلا تاريخ).

٢٢) الهذليّون: "ديوان الهذليين"، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، (١٩٦٥م).

٢٣) الهروي، علي بن محمد: "الأزهية في علم الحروف"، تحقيق عبد المعين الملّوحي، **الطبعة الثانية**، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، (١٩٨٢م).

٢٤) ابن هشام، جمال الدين: "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب"، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، **الطبعة الثالثة**، دار الفكر، بيروت، (١٩٧٢م).